

بين ليل وصباح

قصيدة مشورة

لجبران خليل جبران

أسكت يا قلبي فالفضاء لا يسمعك .

أسكت يا قلبي فالأثير المثقل بالنواح والعمويل لن يجعل أغانيك وأنشيدك .

أسكت فاشباح الليل لا تحفل بهمس أسرارك ، وهوا كذب الظلام . لا تقف

امام أحلامك .

أسكت يا قلبي ، أسكت حتى الصباح ، فمن يترقب الصباح صابراً يلاقي الصباح

قوياً ومن بهوى النور فالنور بهواه .

أسكت يا قلبي واسمعي متكلماً :

في الحلم رأيتُ شحروراً يفرّد فوق فوهة بركان نائر .

ورأيت زنبقة ترفع رأسها فوق الثلوج .

ورأيت حورية عارية ترقص بين القبور .

<http://Archivabeta.Sakhril.com>

ورأيت طفلاً يلعب بالجماجم وهو يضحك .

رأيت جميع هذه الصور في الحلم ولما استيقظت ونظرت حولي رأيت البركان

هائجاً ولسكتني لم أسمع الشحرور مفرداً ولا رأيت مرفقاً .

ورأيت الفضاء ينثر الثلوج على الحقول والأودية سائراً بأكفانه البيضاء أجسام

الزئبق الهامدة .

ورأيت القبور صفوفاً متصبة امام سكينه الدهور وليس بينها من يتمايل راقصاً

ولا من يجثو مصلياً .

ورأيت راوية من الجماجم وايس هناك من ضاحك سوى الريح .

في اليقظة رأيت الحزن والاسى فأين ذهبت أفراح الحلم ومسرته ؟

أنى نوارت بهجة المنام وكيف اضمحلّت رسومه ؟

وكيف تتجلد النفس حتى يعيد النوم أشباح أمانها وآمالها ؟
اصغ يا قلبي واسمعي متكاماً :

كانت نفسي بالامس شجرة مسنة قوية تمتد عروقها الى أعماق الارض وتعالى
غصونها نحو اللانهاية .

ولقد أزهرت نفسي في الربيع وأثمرت في الصيف ، ولما جاء الخريف جمعتُ
أثمارها في أطباق من الفضة ووضعها على قارعة الطريق فكان العابرون يتناولون
منها ويأكلون ثم يسرون في سبيلهم .

ولما انقضى الخريف وتحولت تهاليله الى الندب والولولة نظرتُ فلم أرَ في أطبائي
سوى ثمرة واحدة أبقاها الناس لي ، فتناولتها وأكلت فألفيتها مرة كالعلقم حامضة
كالخصرم ، فقلت لنفسي : « وبجي لقد وضعت في أفواه الناس لعنةً وفي أجوافهم
عداء ، فإذا ترى فعلت يا نفسي بالخللوة التي امتصتها عروقك من أحشاء الارض
وبالاريج الذي تشربه قضبانك من نور الشمس ؟ »

بعد ذلك اقتلعت شجرة نفسي القوية المسنة .

اقتلعتها بعروقها من التربة التي نمت فيها وبرزعرت .

اقتلعتها من ماضيها ونزعت عنها ذكرى الف ربيع والف خريف .
وعدت فزرعت شجرة نفسي في مكان آخر .

زرعتها في حقل بعيد عن سبل الزمن . وكنت أسهر بجانبها قائلاً ان السهر يدنينا
من النجوم ، وكنت أسقيها دمي ودموعي قائلاً ان في الدم نكهة وفي الدموع حللوة .
ولما عاد الربيع أزهرت نفسي ثانية ، وفي الصيف أثمرت ، ولما جاء الخريف
جمعت أثمارها الناضجة في أطباق من الذهب ووضعها على ملتقى السبل . فمرَّ الناس
أفراداً وجماعات ولم يكن لم يمد أحدٌ يده ليتناول منها .

فأخذت اذ ذاك ثمرة واكت فوجدتها حلوة كالشهد ، لذيدة كالكوثر ، عطرة
كأنفاس الياسمين ، طيبة كالخمرة البابلية ، فصرخت قائلاً : « ان الناس لا يريدون
البركة في افواههم ولا الحق في أجوافهم لان البركة ابنة الدموع والحق ابن الدماء . »

ثم عدت وجلست في ظلال شجرة نفسي المنفردة في حقل بعيد عن سبل الزمن .

اسكت يا قلبي حتى الصباح .

اسكت فالفضاء قد انخمته رائحة الاشلاء فلن يتشرب انفاسك .

اصغر يا قلبي واسمعي متكلماً :

كانت بالامس فكرتي سفينة تنقلب بين أمواج البحار وتنقل مع الالهواء من

شاطئ الى شاطئ .

واقدم كانت سفينة فكرتي خالية الا من سبعة اكواب طائفة بألوان مختلفة

تشابه الوان قوس قزح بنضارها .

وجاء زمنٌ ملأت فيه التنقل على وجه البحار فقلت سأعود بسفينة فكرتي الفارغة

الى ميناء البلد الذي ولدت فيه .

ثم أخذت اطلي جوانب سفينتي بألوان صفراء كشمس المغيب وخضراء كقلب

الربيع وزرقاء ككبد السماء وحمراء كدروب الشقيق ، وأرسم على شراعها ودقتها

رسوماً غريبة تجذب العين وتبهج البصيرة .

ولما انتهيت من عملي وقد ظهرت سفينة فكرتي كرويا نبي تطوف بين

اللانهايتين ، البحر والسماء ، دخلت بها ميناء بلدي فخرج الناس لملاقاتي بالتهليل

والتعظيم وأدخلوني المدينة ضاربين الدفوف ناخين الزمور .

فعلوا ذلك لان خارج سفينتي كان مزخرفاً بهجاً .

ولم يسأل أحدٌ ماذا جلبت فيها من وراء البحار .

ولم يدر أحدٌ اتي عدت بها فارغة الى الميناء .

عند ذلك قلت في سرّي : « لقد ضلت الناس وبسبعة اكواب من الالوان

قد كذبت على باصرتهم وبصائرهم . »

وبعد عام ركبت سفينة فكرتي وأبحرت ثانية .

سرت الى جزر الشرق فجمعت منها المر واللبن والصندل وأدخلتها الى سفينتي .

والى جزر الجنوب فجلبت منها التبر والعاج والياقوت والزمرد وجميع الحجارة الكريمة .

والى جزر الشمال فعدت منها بانخز والشوي والبرفير .

والى جزر الغرب فحملت منها الدروع المزردة والسيوف العسالة والرماح السمهرية وسائر انواع الاسلحة .

ملأت سفينة فكرتي بنفائس الارض وغرائبها وعدت الى ميناء بلدي قائلاً :
« سوف بمجدني قومي ولكن عن جدارة ، وسيدخلونني المدينة منشدين مزمرين
ولكن عن استحقاق . »

ولكن لما بلغت الميناء لم يخرج احد للملاقاة .

ودخلت شوارع بلدي فلم يلتفت الي أحد .

ووقفت في ساحتها معلماً للناس ما جلبت لهم من ثمار الارض وطرائفها فكانوا ينظرون الي والضحك ملء أفواههم والسخرية على وجوههم ثم يتحولون عني .
فعدت الى الميناء كثيراً مستغرباً ، ولكنني ما لمحت سفينتي حتى فطنت لامر كنت مشغولاً عنه بمنازع اسفاري ورغائبها ، فتهفت قائلاً : « ان أمواج البحار قد
محت الطلاء عن جوانب سفينتي فباتت كهيكل من عظام ، وعفت الارياح والانواء
وحرارة الشمس الرسوم عن شراعها فظهرت كأثواب رمادية بالية . »

لقد جمعت طرائف الارض ونفائسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت الى قومي فنبذوني لان عيونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجية .

في تلك الساعة تركت سفينة فكرتي وذهبت الى مدينة الاموات وجلست بين القبور المكاسة مفكراً بأسرارها .

اسكت يا قلبي حتى الصباح . اسكت فالعاصفة الهوجاء تسخر بهمس اعماقك ،
وكهوف الوادي لن ترجع بصداها رنات اوتارك .

اسكت يا قلبي حتى الصباح فمن يترقب الصباح متجلداً يعانقه الصباح مشتاقاً .

ها قد طلع الفجر يا قلبي فتكلم ان كنت نستطيع الكلام .
هوذا موكب الصباح يا قلبي فهل ابقى سكوت الليل في اعماقك أغنية تلاقي
بها الصباح ؟

هوذا اسراب الخمام والشحارير تتطاير متقلبة في اطراف الوادي فهل ابقى هول
الليل في جنحيك صلابة لتطير معها ؟

هوذا الرعيان يسرون امام قطعانهم من الحظائر والمرابض فهل ابق لك
اشباح الليل عزماً لتسير وراءها الى المروج الخضراء ؟

هوذا الفتيان والصبيان بمشون الهوينان نحو الكروم فهلاً نهضت ومشيت معهم ؟
قم يا قلبي ، قم وسر مع الفجر فالليل قد مضى ومخاوف الليل قد اضمحلت
مع احلامه السوداء .

قم يا قلبي وارفع صوتك مترنماً فمن لا يشارك الصبح باغانيه كان من .
ابناء الظلام .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عن كتاب « المواكب » الذي ظهر حديثاً

(وسنفرده له فصلاً قريبا)

الدين

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الاولى لهم في زرعه وطر'
من أمل بنعيم الخلد مبشر ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ان واطبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

العدل

والعدل في الارض يبكي الجن لو سمعوا به ويستضحك الاموات لو نظفروا
فالسجن والموت للجانين ان صفروا والمجد والفخر والاتراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل اخطر
وقاتل الجسم مقتول بفضلته وقاتل الروح لا تدري به البشر